هي حرب طروادة أخرى

مسرحية بقلم جليل القيسي

ممر طويل شبه مظلم من تلك الممرات الموجودة في السجون الكبيرة . ثمة فوانيس ذات اضواء خافتة متناثرة على طرفي الممر. من بعيد تسمع ضربات احذية عسكرية منسقة . بعد قليل هدير مكائن زوارق بخارية ، واصوات نساء ، وبكاء اطفال . تقترب ضربات الاحذية ، ويظهر عدد من الجنود المسلحين . ملابسهم العسكرية هي مزيج من الملابس العسكرية اليونانية ، والامريكية ، والنازية الالمانية . يسيرون بحركات جامدة على لحن عسكري .. بعد قليل تسمع ضربات ارجل حافية ، وعويل اطفال ، واصوات نسويةتختلط بهدير مكائن الزوارق الذي يخف بالتدريج .. تنقطع الموسيقى العسكرية ، وتنبعث موسيقى توديعية خافتة . وباقتراب النساء اللواتي تحمل البعض منهن اطفالا صغارا ، يقترب عدد منالسجناء المرهقين .

ملاحظة : خارج المسرح ، وعلى الجهة اليمنى مباشرة ، شاشة اكبر من شاشة التلفزيون بثلاث مرات ، تعمل عند الضرورة لنقل احداث وثائقية .

يقف السجناء ، والسجينات في صف واحد .. ينشد كورس غير مرئي .

الكورس : لتشعروا ابدا بضربة الموت يا من تحترقون للحرية والمساواة والعدل .. انفخوا زفراتكم في الجزر التي تذهبون اليها لتزدهر اشجار الزيتون بدلا من الاشنات والطحالب .. ان يوناننا العزيزة ستخضر من جديد .

(ينتهي النشيد . يتقدم ضابط متجهم الوجه يحمل مجموعة اوراق في يده اليمنى ، ويعطي توجيهات سريعة باليسرى .

الضابط الاول : (بعبوس الى زميله) انتقل الى الطرف الاخر. (يصرخ على جندي) . تعال لصقي . اعتقد ان الزوارق جاهزة .. اليس كذلك ؟

الضابط الثاني : على اتم الاستعداد . (يسمع هدير خفيف للمكائن) حسن . (يكثف الضوء على الساجين وهم في حالة مزرية .. يرسل الجميع نظرات حاقدة بجميع الاتجاهات .. بصوت عال) سجناء جزيرة (ليروس) الى الامام سر .. (ليتقدم عدد من السجناء بخطوات قصيرة ، وبعد ان يلقوا نظرات حادة الى الجمهور، يسيرون خارج المسرح ..) سر بهم الى الزورق رقم ٣ . (تستمر الموسيقى التوديعية) سجناء جزيرة (جيورجس) الى الامام سر.. (تتقدم مجموعة اخرى ... يخاطب الضابط زميله) اعتقد بهذا العدد يكون عدد السجناء في جزيرة جيورجس ١٢٤٨ . اليس كذلك ؟

الضابط الثاني : بالضبط ..

الضابط الاول : (بجفاف) الى الزورق رقم ٥ سر ..(يخرجون) سجينات جزيرة هاليكارناسوس الى الامام سر . (تتقدم مجموعة نساء من مختلف الاعمار بينهن من تحمل اطفالا في سن الرضاعة) الى الزورق رقم ٧ سر ..

(يخرجن بخطوات بطيئة .. (يبقى الضابط الاول لوحده ، وتسمع اصوات السجناء ، والسجينات ، وبكاء الاطفال . يعطي الضابط ظهره للجمهور ، ويسير بخطوات هي مزيج من القسوة العسكرية المصطنعة ، والتراخي . وسط الممر . وفي الظلام الخافت يتحول الى شكل شبح . تموت اضواء الفوانيس الواحد تلو الاخر ، وعندما يغمر الظلام المسرح ، بعد لحظات فوق الشاشة خارج المسرح يظهر الموسيقار ثيودراكس يخطب في جمهور غفير .

ثيودراكس : (بغضب) لم اجيء الى باريس لابحث عن مصير جديد لحياتي ، انما لاولئك الذين دفنوهم احياء في جزرنا السعيدة . ان السل الذي نخر في جسدي ايتها السيدات والسادة ، هو سل هذا الجزء من اوربا الذي اعطانا كلنا مكانة رفيعة في الحضارة البشرية . انني لا اشفق على يوناني العزيزة لانها مصابة بمرضالعقداء السود ، بل علينا كلنا لاننا لم نعمل المطلوب من اجل علاجها .. (يتوقف عن الكلام) .. اصوات فتيات مراهقات : وقع لي هنا ايها العزيز ثيودراكس . صوت صحفي : ما هي مشاريعك الموسيقية الجديدة ؟. مراهقون يلوحون له بالاوراق ، ويطلبون توقيعه .. وثيودراكس حزين ، وكانه خطب للفضاء ... ظلام فوق الشاشة والمسرح . بعد قليل تنبعث موسيقى زوربا من بعيد ، ويسلط ضوء فوق المسرح على شاب وسيم يرقص على انغام الموسيقى ، واصوات تردد : رائع يا الينا س .. هائل يا الينا س . يتوسع الضوء برفق فنرى ثلاثة مساجين في غرفة عارية الا من ثلاثة فرش .. ونمة نافذة عالية في الجدار المواجه للجمهور) .

هرموديوس : (شاب في الثلاثين) ٥٢ ، يا الينا س ما كنت اعرف البتة انك تجيد الرقص على هذا النحو الرائع . (يهز راسه اعجابا ويصفق)ترقص وكان لا عظم في جسدك . برافو .... برافو ...

هيبارخوس : (رجل في حوالي الستين) اذكر انني قرات ذات مرة ان جميع الاسرى الذين عادوا من معسكر اعتقال (داخاو) الالماني

بعد الحرب الاخيرة تعلموا فقط حفر الخنادق ، ونقل اكياس الرمل ، والتراب .. (يحاول ان يبتسم) الانذال حولوهم كما تقول الكلمة الانكليزية الى ـ كولي ـ (وقفه) اما الينـاس ، من يدري ، لو لم يصب بسوء فيتحول بكر الايام الى نجينسكي (1) . (يضحك الجميع) اما هيباس ، فلو عثر على الالوان التي يحتاجها لنافس غوبا .

هيباس : (شاب في الخامسة والعشرين) اشكرك يا صديقنا العزيز . (واقف امام الجدار المواجه للجمهور ومنهمك في العمل والحفر بأظافره . دون ان يلتفت الى اصدقائه) اوه مع ذلك سأستمر في التمرين . مع انني احتاج الى عالم مملوء لكي ابدع ، لكنني سأحاول .. ساريكم لوحتي .. ان جدار السجن هذا يصلح للعمل ..

هيبارخوس : (بسخرية لطيفة) لكن متى سيزيح مايكل انجيلو الستار عن لوحته ؟

هيباس : (ينهمك في وضع قطعة قماش فوق مربع على الجدار . وبعد أن ينتهي ، يتقدم من هيبارخوس) عزيزي هيبارخوس لا تنس انني ارسم بأظافري .. وسعيد لان رطوبة الجدار تساعدني .. انظر الى اظافري ! ان طياتها ممتلئة بالجص .. لو فقط تعرف كم تؤلمني . (بحركات ساخرة) ثم ان العبقرية في نظري هي التمرين ، التمرين ، ثم التمرين .. هاهاها .. (يربت الينـاس فوق كتف هيبارخوس العجوز برفق)

الينـاس : وعزيزنا هيبارخوس .. لكم لا يليق به الحزن .. بالتأكيد انه يفكر بالتاريخ ، وباليثولوجيا . اليس كذلك ؟ (وقفه) انك عندما تخلد الى الصمت فجأة ، اعرف انك لا تفكر سوى بالتاريخ . (بلهجة حزينة) واي شيء غير التاريخ يشغلك .

هيبارخوس : اوه الينـاس ، هل ثمة آله تستطيع ان تقيس ، او تقدر عدد الافكار التي تفور في الرأس في الدقيقة الواحدة ؟ اننا الان يا عزيزي الينـاس في اعماق (او الليثه (2) ، نعاقب لان ذنوبنا لا حد لها بالنسبة لمفاهيم تلك الافاعي .. لن يستطيع او الليثه ان ينسينا اي شيء .. كنت افكر في رقصتك .. صدقني اثارتني ، وخلتني لفرط فرحي وكانني احتسيت عشرات القناني من النبيذ المعتق . (وقفه) انهم يتصورون ان مياه اوالليثه تجعلنا ان ننسى كل شيء ، لكن الغضب يا الينـاس يصفعنا باستمرار ، ويكسبنا القوة على الحقد .. (بصوت اعلى) انهم في اعماق اوالليثه وليس نحن .. اوليس الفرح هو الذي يدفعك وفي هذه الجزيرة النائية الى الرقص .. وهيباس يرسم باظافره ، وانا احلم بالتاريخ ، ومساره الحلزوني .. (بحزن عميق) ان دم الفكر البشري الذي يجري في مخ العالم كله ، شرارته كانت من هذه الارض المعذبة ، والمصلوبة هذه الايام على صليب العسكرية . (يلاحظ الينـاس تأثر هيبارخوس ، يغمز لكل من هيباس ، وهرموديوس)

الينـاس : (بحركات طفوليه) اعتقد حان وقت التفرج من النافذة. اليس كذلك ؟

هيباس : اوه .. حسنا فعلت ذكرتنا . الى العمل .. دور من اليـوم ؟

الينـاس : دوري ..

هيبارخوس : ارجو ان تصف لنا اشياء جميلة . (لنفسه بحزن) يا لجزرنا الحبلى بالخضرة الابدية ... (يبرك هرموديوس ، ويقفز هيباس فوق ظهره ، ثم بشيء من الصعوبة يتسلقهما الينـاس حتى يصير بمستوى النافذه ..)

---

(1) بجينسكي : هو راقص الباليه الشهير .

(2) او الليثه : احد انهار الجحيم الذي تشرب منه ارواح الموتى بعد ان تظل محبوسة في التراتاروس احر مناطق الجحيم التي يعاقب فيها اشد الناس اتيانا للذنوب . ولمياهه القدرة على ان تجعلهم ينسون اي شيء فعلوه او رأوه .

الينـاس : (بصوت خافت) لا تتحركا .. الهي لست بهلوان سرك .. صحيح انني راقص .. هرموديوس لا تتحرك ..

هرموديوس : (بصوت مخنوق) ابدا .. ماذا ترى ؟.

الينـاس : نهار جميل وكأنه مرآة .. (وقفه) للمناسبة هل نحن في شهر نيسان .

هيبارخوس : غير مهم .. نسينا الاشهر .. ابدا ..

الينـاس : الاشجار ساكنة .. ارى فاربا صغيرا بلون الحليب.

هيباس : فيه عشاق ؟.

الينـاس : كلا .. يبدو انه رياضي بطران يتمرن ..

هرموديوس : ربما لدورة ميونيخ .. (يحاول ان يضحك)

هيباس : لا تضحك .. انك تخرب توازني .. (الى الينـاس) ابدا .. اشياء جميلة ايها الملعون .

الينـاس : ارى خفراء سواحل في زورق من ذاك الذي نقلنا به الى هنا .

هرموديوس : عليك اللعنة .. الا ترى اشياء اجمل ؟

الينـاس : انهم ليبتعدون بسرعة ..

هرموديوس : عيع .. عوعو ... (بصوت) الا ترى طيورا ، زهورا ..

الينـاس : اوه نفس الكلاب مرة اخرى ..

هيباس : من ؟

الينـاس : لاعبو الغولف ..

هرموديوس : قلت الا ترى طيورا ، سنونوات مثلا ..

الينـاس : صدقني مرت اسراب من الطيور الجميلة ..

هرموديوس : وسنونوات !.

الينـاس : بشكل منفرد هنا وهناك .. يا لطيرانها السريع .

هرموديوس (يطلق ضحكة فويه) انه الربيع اذن ..

هيباس : وهل السنونو يصنع الربيع ؟

هرموديوس : لست ادري .. ربما العكس .. غير مهم .. انه الربيع بالتأكيد .. استمر يا الينـاس .. ماذا بعد .

الينـاس صمت ..

هيباس : انزل اذن ..

الينـاس : لماذا ؟.

الينـاس : لان لا جدبد . انزل وارقص لنا قليلا .. (ينزل الينـاس، وتتمطى ، ثم يبدأ بالرقص على لحن زوربا يردده هرموديوس بفمه . بغمر هيبارخوس العجوز فرح عميق ، ويردد ـ رائع .. رائع . تتوقف عن الرقص ، ويسأل هيبارخوس) هل حقا ارقص بشكل جيد ؟

هيبارخوس : جدا ..

الينـاس : (بفرح طفولي) اتعرف انني قبل اعتقالي بمدة كنت واختي ثانيا نتدرب على رقصة اطلقنا عليها اسم (بوليفيا تستيقظ) (وقفه) ان اختي ثانيا راقصه ماهرة . (مؤكدا) صدقني كنا على وشك القبول في فرقة باليه اثينا ..

هيبارخوس : (بعد تفكير) لماذا « بوليفيا تستيقظ » ؟

الينـاس : فكرنا ان نقدمها هدية رمزية لمرور عام على استشهاد غيفاره . (وقفه) الشيء الوحيد الذي كان يفسد علينا الفكرة هو غياب الموسيقى . (بانفعال) آه .. ثانيا العزيزه . اتعرف لفرط حماسها للفكرة ، قررت ان نقدمها بطريقة (بانتوميميه) سأرقصها لكم ذات يوم .. (الى هيباس) حبذا لو رأيتها مرة واحدة يا هيباس ، لا شك كنت سترسمها من مخيلتك .. (لنفسه بصوت حزين) الفن ... ربما كان اكثر الاشياء التي تجعل الانسان ان يكون مستحقا .. ترى اين انت الان يا ثانيا العزيزه ؟. ان حدسي يؤكد لي بانها معتقلة في معسكر هاليكارنا سوس . (وقفه) يا لتلك الجزيره البعيده ..

هرموديوس : (لنفسه) هاليكارناسوس .. (بحزن) ان جزرنا

الجميلة اما تحولت الى معسكرات للاعتقال ، او بيعت لاوناسيس (١) العجوز ، واثرياء العالم وكأنها مواش ..

هيباس : (هو الاخر بلهجة حزينة) اوه ، اينها الجزر المكسوة بالخضرة الابدية ، وباشجار الزيتون الخالدة . لا ، لن تكوني ملاجىء الموت . (يلقي نظرة الى النافذة) ساعدوني لالقي نظرة من النافذة .. يا لعطشي حتى لمستنقعاتها ... ان لجزرنا الحانا غامضة .

الينـاس : جزرنا حزينة يا هيباس .

هيباس : لكنها ستبقى جميلة رغم ايام الحداد والاحزان هذه .

الينـاس : (يحاول ان يخفف من انفعال هيباس) تأكد يا هيباس ان الايدي المجربة لن تستطيع انتنال من نظرة تلـك انجزر .

هيباس : (وكأنه احس ان الينـاس يواسيه) ستبقى جميلة مثل نانيا .

الينـاس : اجل .. جميلة مثل جزيرة هاليكارناسوس ،ولها قابلية

هيباس : يعجبني فيك صدقك . كلما تكلمت عن نانيا خزنـت بمخيلة رسام تقاطيعها في ذهني ..

الينـاس : اجل .. جميلة مثل جزيرة هاليكارناسوس ، ولها قابلية في تجسيد ادق الحركات في الرقص . (وقفه) لست ادري من اين تستلهم كل تلك الافكار الجميلة والشاعرية وتصوغها بحركات موسوقه . (يروح في تأمل دفيق . يقلص الضوء ويغمر النصف الايمن مـن الغرفـة ضوء ازرق ، وتدخل نانيا في جو حلمي وبحركات رفيقـه تؤدي رقصة . يتصرف الجميع وكأنهم لا يرونها ـ يستمر الناس في الكـلام بصوت خافت) تصور عندمـا اردنـا ان نصور السير في الادغال على ايقاعات الرقص كانت تسير بخطوات غريبه ، وتتلوى ، وكنت اتصورها وكأنهـا فعـلا تسير في الغابة . (تستمر نانيا في الرقص .

هرموديوس : (بصوت خافت) من يدري كم كانت تحـب ذاك القديس الارجنتيني الذي اشعل فتيلة الشرف هناك .

الينـاس (تترك نانيا المسرح برفق ، ويعاد الضوء الى الغرفة) ترى هل ما زالت تعيش .. كم اخاف من ضياع مواهبها . اذا خرجت ستعمل الكثير على مسارح العالم .. بوسع نانيا ان تصوغ حتى مـن المواضيع العاديـة رقصات جميلة .. اوه هيبارخوس لا اعـرف كيف افسر مواهبها .

هيبارخوس (يضحك) لعل ثمة نساء مسنات ما زلن يتصورن ان بوسع الانسان ان يذهب الى مغارة ابولون (٢) ليستمـد منها الوحي. ان نانيا ببساطه تستوحي ، من المدينة ، من الميثولوجيا ، ومـن بوليفيا .. باختصار تستلهم افكارها من مناطق يوناننا المبتورة بالفواجع ومن ينابيع حياتنا المسمومه . (يتألم) ان مجتمعنا يا الينـاس كلـه مشيد على اسس موبوءة وفاسدة ، (ظلام . فوق الشاشه . عدد من صباغي الاحذية ، وشحاذين يهرولون خلف السياح في اكروبوليس . السياح يلتقطون صورا لفلاحات يبعن حاجيات مصنوعة من الخشب . اعمى يعزف بشكل رديء لحنا ليثودراكس . صوت لهيبي ساخر ـ اين البانثيون ..؟ اهذا معبد ابولون .. ـ صوت مراهقه هيبية ـ هل يعقل فعلا ان سقراط مر من هنا ... هيبي طويل القامه وهو يلتقط صورة لعمال يعملون في ترميم جوانب من الاثار . الا يذكروننا بعبيد افرط افلاطون في الكلام عنهم ...

سائح آخر يغازل صديقته بين اعمدة ضخمه ويردد : تذكري غضضت على شفتيك في البانثيون (٣) . صوت قبلات .. راع يوناني جالس فوق صخرة يردد لحنا جميلا من آلة ناي .... (تتوقف الحركة فـوق الشاشة ، ويعاد الضوء الى الغرفه)

هيبارخوس : اجـل يا الينـاس ، ان مجتمعنـا كلـه مشيد علـى اسس موبوءة وفاسدة . (هيباس يزرع الغرفة ويردد لحنـا بفمـه . يستمع الجميع الى اللحن . يتوقف)

هيباس : (فجأة) آه من الوحي ... انه لحن والدتي المفضل ، تردده باستمرار في المطبخ ، في الغرفة ، واثناء الكنس . (وقفه) بل حتى عندما كانت تعانق والدي كانت تردده بهوس اكبر ..

هرموديوس : وهل ما زالت تردده ؟

هيباس : (يقطب) آه .. توقفت عن ترديده بعد موت والدي لمدة سنة ، ثم عادت اليه . (هازا رأسه) عندما عادت اليه كانت تردده من خلال دموعها . (وقفه) وكنت اشاركها في ترديد اللحن ... ثمـة احزان تتعلق بالافكار ، وتزداد اغراء كلما ابتعدت .. وحتى الزمـن كثيرا ما يكون عاجزا عن تمزيق اشباح تلك الاحزان ..

هيبارخوس (يطلق تأوها حارا) ارجوك يا هيباس ان نعيداللحن. يكاد يكون الموسيقى القوة الاكثر امكانية لتطهير القلب . (كمن يحلم) اعزف .. (بانفعال) اعزف يا اريون وطهر بقية الادران . اعزف لنتحمل حتى هموم جبالنا وتلوجها . (بعد صمت) اتعرفون من هو اوريون ؟

(الجميع معا ـ كلا ..) (هيبارخوس كمن يخيل شيئا عميقا) انه ذاك الشاعر والعازف الشهير .. اسمعوا ، ذات مرة كان اريون يعود الى بلاده عبر البحر . وفجأة فكر البحاره ان يقتلوا شخصا كان اريون يحبه . (وقفه ـ موسيقى حزينه) فطلب من البحارة أن يسمحوا لـه بعزف لحن جميل . اتعرفون ماذا حدث ؟ (بلهجة أب يسرد قصة) هجم جيش من الدلفين جذبته الى السفينة عذوبه اللحن . (بلذة) وتطوع دلفين كبير وحمله الى البر سالما . اعزف .. اعزف .. مـن يدري متى ، لكن بالتأكيد سينوجه جيش من الدلفين مثل الطوربيدات الى جزيرتنا وتحملنا على اكتافها الى حيث الفردوس .

هيباس : (بمزح) استمعوا الى اوريون .. لكنني اخشى ان يأتي العسكري بدلا من الدلفين .. (يضحك . يردد اللحن باندماج لمدة .) آسف لا استطيع اكثر .. تصوروا رغم رائحة البراز القوية في الغرفة، ذكرني اللحن برائحة البيت الابدية النكهة . املأ رأسي برائحة الخبز ، والغسيل ، وتلك الرائحة النادره لوالدتي . (لنفسه بغضب) اينها الرائحة الشهية تهبين حتى من قلب هذه الرطوبة والبراز ..

هيبارخوس : (بمزح) يا لهذه اللهجة المتشنجة .

هيباس : ثمة اشياء رغم تفاهتها تثير شنجا قاتلا .

(يصمت الجميع . يتقلص الضوء خارج النافذه ، ويظهر لون ارجواني. يطول الصمت .)

الينـاس : (لمجرد ان يبدأ حوارا جديدا) تأخروا في جلب العشاء.

هيبارخوس : (بمزح) رائحة الخبز ، ورائحه الغسيل ، وروائح اخرى ذكرننا بالعشاء ..

هيباس : مرة اخرى قليلا من الخضار المسلوق ، والخبـز ، والبطاطا .. الهي ان وجباتنا في هذا المنفلق يذكرني ببرنارد شو عندما سألوه عن خيرات ارلنده ـ

الينـاس : وماذا قال ؟

هيباس : قال نحن نزرع البطاطة والقحط في ايرلنده . (يضحك الجميع بصوت عال .. يغيب اللون الارجواني من النافذة .)

هيبارخوس : (يخاطب نفسه) وانتهى يوم آخر . انه الليل مرة اخرى (وقفه) في الليـل ، وفي الصمت ، ثمه اصوات غريبة تقرينا بالاحساس والتفكير بأننا فعلا احببنا ذات مرة .

هرموديوس : (كمن يفيق) عذبني ايها الاب هيبارخوس .. هذه الكلمات تشبه الشعر ..

هيبارخوس : لكن من الذي يستطيع ان يفكر بالحب المنسـي ،

على شفتيك في البانثيون (٣) . صوت قبلات .. راع يوناني جالـس

(٢) معبد ابولون : في دلف يحتوي على مغارة كانت تنبث فيها ابخرة كبريتيه منها كانت بيثيا كاهنة ابولون في دلف تستمد وحيها . فقد كانت تجلس على كرسي ذي ثلاث ارجل فيه ثقب منه يأتي بخار تستنشقه الكاهنة فيصيبها الوحي .

(٣) البانثيون : معبد جميع الآلهـة .

ويلسعنا الان حب آخر . ان الافاعي المتربعة على انداء يوناننا الحبيبه ترسل لنا الموت في الجزر على شكل حيوان له الف راس .

هرموديوس : لمن هذه الابيات ؟

هيبارخوس : لا احد .. هذا ليس شعرا

هرموديوس : وقعه مثل الشعر ..

هيبارخوس : (بحزن) صدقني ان الانسان عندما يحزن ينطلق الشعر من فمه من حيث لا يدري ... كلما اردنا ان ننسى احزاننا صارت بسعة السماء . منذ متى وهم يسقوننا مياه (الاشيـــرون) (١) ، ويضخون لنا رائحة البراز الخانقة ؟ (وقفه) وهذه الرطوبة التـــي تقلص الرئة وتجعلها بحجم الدراخمة (٢) . وحتـــى ضوء الشمس يقدمونه لنا بالبوصات . (يؤشر الى ارض الغرفة) انظروا الى زوايا الغرفه . من كان يتصور ان الطحالب تنمو حتى على الاسمنت .

هيباس : (بمزح) يبدو انني لست وحدي الذي يتكلم بلغـــة تشنجية .

هرموديوس : دع هذا المستودع للتاريخ يتكلم لنا ...

هيباس : آسف .. لم اقصد شيئا ..

هيبارخوس : لا باس يا هيباس . السجن يحب لغة المزح كثيرا .. معذرة لانفعالي الشديد . ان القوانين (الدراكونيه) (٣) تجعل آبـار الحقد الداخلي ان تفور ، والفم يلتهب بالنيران . صدقوني ليس ثمة اصعب من الاكتواء بحب الوطن ، وبشرط الا تنتظر حتى ما اصاب (تراز بيبلوس) (٤) ..

هرموديوس : يا لابطال تاريخنا .. ويا لتاريخنا ..

هيبارخوس : اجل يا لتاريخنا .. يا لفكرنا الذي خلق جميـــع الآلهات الارضية والسماوية .. من اجل ان ترجع يوناننا نقية وعذراء، لا نريد حتى غصني تراز بيبلوس .. (فجاة تسمع اطلاقات ناريـــة سريعة ، لثلاث مرات .. صمت شديد . يسمع نشيد الكورس الـذي جاء في مقدمة المسرحية . بعد الانشاء بلحظات تاتي موجة اخرى من الاطلاقات . يغمر المسرح ظلام ، وعلى الشاشة تظهر لوحة الحـــرب الاهليـة للفنان الاسباني غويا . يدور الحوار التالـي في الظلام بصوت مثل الحفيف)

هيباس : لقد علقوا لوحة غويا ثانية في غرفة ما ..

اليناس : (بتعجب) ما بك يا هيباس !

هيباس : في غرفة ما علقوا لوحة غويا ... غويا ..

هرموديوس : غويا ...

هيباس : صدور عاريه ، وبنادق ... غويا .. غ ...و ..يا

هيبارخوس : (بحزن عميق وكانـه يلقي قصيدة) كل يـوم تقريبا يقصون احلامـا جميلة بمقص من الرصاص . لكـن هل تستطيع الرياح، والامواج ان تعيق اماني ملاحين يبحثون عن الموت . ان الثورة مثـل هيكاتا : هي فقط الهـة السحر والفتنة . ولهذا تقدم اليها القرابين، والحملان والعسل في العالم .. (بصوت اكثر انفعالا) نخب لوحـة غويا في تلك الغرفة البعيدة . (تضيع لوحة غويا من على الشاشة ، ويعود الضوء الى الغرفة ، مع طرقات قوية .. يفتح باب غير مرئي على جهة اليمين ، ويدخل عسكري)

العسكري : انسحبي اليناس ، والسجيـن هيبارخوس انهضا .. (ينهضان يتناقل ويحدقا بتعجب . يعود الظلام الى المسرح ، وفـوق الشاشة يظهر عدد من العسكريين في جو محكمي . ويقرأ احدهم بسرعة هذه الكلمات . ولقناعة المحكمة .. وبما ان المحكمة مقتنعة .. مقتنعة هي المحكمة . محكمة القناعة . قناعات حدية .. حدية القناعـــة ، وثبوت الادلة ، والادلة الثابتة ، وثابتة هي الادلة بحق كل من ايناس، وهيبارخوس ، وهيبارخوس واليناس ، لقيامهما بحركات عدائية ضـد الحكومة ، والتحاقهمـا بالعناصر التي عملت لقلب نظام الحكم ، والقاء المتفجرات ، قررت المحكمة اصدار الحكم عليهما بالاعدام . تنقطـع الحركة فوق الشاشة ، ويعود الضوء الى المسرح . موسيقى خفيفة)

هيبارخوس : (يلقي نظرة وداع جريحة الى كل من هيبـــاس ، وهرموديوس) لا تودعني ووجهك ممتقع يا هيباس ـ (بتماسك) وانت يا هرموديوس اعرف انك لا تستطيع ان تمنع دموعك . ما كنا نريد طرق ابواب الموت النحاسيه . انه هيبارخوس العجوز وايناس الشـــاب يخسران المعركة فقط في هذه اللحظات . او لم نعرف سلفا باننـــا سنموت ربما حتى بلا قبور . كنا نعرف اننا سنسقط ذات يوم مثـــل قطرة مطر في مكان ما ..

صوت العسكري : (من بعيد) استعدان ؟

هيبارخوس : (يعطي ظهره للجمع) تفضل يا من لا حول لك .

اليناس : كان هذا متوقعا .. (يذهب صوب هرموديوس بخطوات ثابتة ويعانقه ، ثم يعانق هيباس الذي يهتز في حضنه) عندما تسمع صوت الاطلاقات تذكر غويا ، ومن ثم تانيا العزيزة التي ذبحوا احلامهـا مثل طير صغير .. من اجلنا كلينا ارقص .. (وقفه) لقد كان اسلافنا يرقصون ويهزجون لحد الاختناق عند قبور ابطال مثـــل اخيـــل ، وبراسيوس . (ينشج هيباس بين ذراعي اليناس . يصرخ عليـــه اليناس بقوة) تماسك . (يتركه) وداعا يا هرموديوس .. اذا رأيت اختي ، تلك الابنة الوحيدة لاسرتي ، ارجو ان تشجعها .. انها شجاعة جدا ، لكن ثمة ساعات يحس فيها الانسان لا اراديا بالجبن .. (يصرخ) قلت تماسك . (بلطف) اهكذا تودعين .

هرموديوس : (باختناق) اعذرني .. انه الفراق الابدي كما تعلم.

اليناس : اعرف .. وداعا .. تحديا العذاب ، والالم .

(يرجع هيبارخوس ، ويلقي نظرة اخرى الى هيباس وهرموديوس)

هيبارخوس : (الى اليناس) ان حياتك يا اليناس والتي لم اعرف منها سوى شظايا في هذه الغرفة كانت حافلة باحلام خضراء . اسمح لي ان اكلمك الان ، لانني سأصمت طوال الطريق ، واحاول ان أسترجع بقايا ذكرياتي قبل الموت .. يا اليناس الوسيم وداعا للمرة الاخيرة . (يحتضنه بقوة) ان عينيّ تفيضان اعجابا بك . (يخرجـان . يغلـق البـاب)

هرموديوس : (بصوت مخنوق) وداعا يا اليناس لا فناء فيه .. لقد صبغت نفسي بكل لون من الوانك . كم تحملت كل شيء باباء عبر تنقلنا من غرفة الى اخرى،ومن جزيرة الى اخرى .(بحزن) يا للمعذبة تانيا لتشرق مـن معبـد خلودك يا اليـنـاس ، وانـت يا هيبارخوس لك كل حبي .

هيباس : ان افتتانه اللامحدود بوطنه ، واحلامه الكثيرة اضرمت كل حواسه وفؤاده . كنت اخاف من صوته احيانا ، من اعماقه ، من حرارته ، من تامله ، من حركاته وهو يرقص .. ان حياته كانت حربا بين مواهبه ووطنه . وانتصر الاخير . (وقفه) عما قريب سيعلقون لوحة غويـا ..

هرموديوس : (بغضب) اي جروح تندمل دون ان تترك ندوبا ؟. اما ندوب جراح اليناس ، وهيبارخوس ستبقى في جسدي الى الابد .

---

(١) الاشيرون : نهر في تسبروتيا في البيرس . ونظرا الى شكل مياهه الميت ، سماه هوميروس احد انهار الجحيم .

(٢) الدراخمة : عملـة يونانية .

(٣) القوانين الداركونية : نسبة الى داركون ، المشرع الاثيني المشهور الذي وضع تشريعا حوالي سنة ٦٢٢ ق. م اشتهر بشدة القسوه، حتى يقال انه كان مكتوبا بالدم .

(٤) تراز بيبلوس : قائد اثيني مشهور ، حاول طرد الطغاة ، ونجح في هذه المحاولة سنة ٤٠١ ق. م ، وكان معه ثلاثون من اصدقائه . وكان جزاؤه عن هذا العمل الوطني تاجا مصنوعا من غصنين من الزيتـون .

هيباس : اسمع ، قبل ايام عرفت ان والده مات اثناء مقاومة النازية ..

هرموديوس : اثينا كلها تعرف ماركوس المراوغ . لقد راوغ الالمان واذاقهم المر . ان الييناس هو ذاك الشلال الهادر من ماركوس . لقد اشتعل الييناس بنار العقيد العسيرة الانطفاء .

هيباس : عندما كان يرقص زوربا ، كان كانه يفك الرموز المعقدة للموسيقى . (لنفسه) منذ متى وهذه اليونان الحزينة يحكمها البيكتيون (١) ، العبيد بالوراثة . (يذهب بخطوات صغيرة صوب الجدار ، ويزيح قطعة القماش ، ويبدأ بخمش الجدار بوحشية)

هرموديوس : متى تنتهي من الخمش وكأنك خلد ؟

هيباس : كم كنت اتمنى ان يريا لوحتي .. عما قريب سوف انتهي منها . (يخمش ويردد لحنا حزينا من فمه)

هرموديوس : كف عن ترديد هذا اللحن .

هيباس : هذا لحن آخر كان والدي يحبه ..

هرموديوس : لعلني الوحيد الذي لا يتذكر احدا .

هيباس : لماذا ؟

هرموديوس : لا اعرف .. غير مهم .. اذكر جدتي فقط ..

هيباس : كان والدي يحب ان يزرع فيّ شيئا واحدا ، وهو العزيمة وحب الموسيقى .. (لنفسه) والدتي ، آه ، رائعة .. لا تحرميني من رؤيتك في الاحلام ..

هرموديوس : اتهذي .

هيباس : الذكريات احيانا تستحق اللعنة ..

(يسمع صوت اطلاقات . يهتز كل من هيباس ، وهرموديوس ويترنحان وكأن الاطلاقات اصابتهما .. ظلام . تظهر لوحة غويا على الشاشة . يردد جزء من نشيد الكورس . وبانتهاء النشيد مباشرة ، هيباس وهرموديوس يرددان معا بصوت عال جدا) غويا . الييناس .. هيبارخوس . (بصوت اعلى) تانيا .. زغردي يا تانيا .. تانيا .

(صوت تانيا يردد من بعيد « ايجريا لا تصرخي .. اتركيني » ... صوت ارجل ، وضحكات . تضيع لوحة غويا من على الشاشة مرات عديدة . صمت طويل . يسلط ضوء خليبي يرفق على غرفة تشبه الغرفة السابقة تماما ، وتانيا تضحك وهي تؤدي نفس الرقصة التي قدمتها في مقدمة المسرحية :)

تانيا : (بصوت رقيق) موضوع هذه الرقصة كان من فكرتينا . رباه ، بآية عذوبة وجمال نادرين كان الييناس يؤدي حركة رجال العصابات في الغابة . (تخاطب صديقتها ايجريا وهي شابة جميلة تجلس في ركن الغرفة ، مع امرأة في مثل عمرها . تنادي تانيا عليهما بينما ترقص) انظرا الى هذه الحركة (تقوم بحركات صعبة مقلدة استعداد مقاتل بين الاشجار) انها حركات صعبه الاداء في الباليه . (تضحك) كان الييناس العزيز يجيدها بشكل آخاذ . (وقفه) (يسمع بكاء طفل) لماذا يبكي الصغير .. سافو .. الصغير يبكي ..

سافو : (بحزن) يبكي دونما سبب .. (لا تتوقف تانيا عن الرقص ، وتتقدم من سافو ، وتداعب الصغير . تخاطب سافو برقة) سافو العزيزه السجن لا يتحمل الحزن .. لا شيء سوى المرح يفيد هنا . (تنهض ، وتذرع الغرفه ، ثم تستند الى الجدار)

ايجريا : تبللت بالعرق يا تانيا .

تانيا : (وهي تلهث ، الرطوبة يا ايجريا تكاد تطوى الرئه في هذا المربع العفن . (لنفسها) لو عاش الييناس ، سيعيش بالتاكيد ، لحققنا احلاما كثيرة فوق اكبر مسارح العالم . (الى ايجريا) لن اكف عن التمرين .. اعتقد يا ايجريا ان جزيرة هاليكارناسوس محطة جيده لصقل مواهبي .. (وكأنها تتخيل شيئا عميقا) اوه يا الييناس اراك بعين قلبي بوضوح وانت تتمرن .. ترى اية رقصة تؤدي الان .. (بصوت ناعس ، وبينما هي تتكلم يتقلص الضوء الخليبي ، ويسلط ضوء بلون البنفسج . تستمر تانيا في الكلام ، ويدخل الييناس بشكل شجي يؤدي رقصة الييناس يا من علمتني كيف نكتشف الجزر السعيدة .. يا من حلمت باسعد الناس . (ترقص هي الاخرى) لقد عشقت تلك الجزر ، وابيت الا ان تشاركني .. كنت تقول لي ، حتى اذا عشنا مثل طائر السمندر (٢) في اعماق النار يجب الا ننسى احلامنا . (تتوقف عن الرقص . يخرج شبح الييناس من المسرح . تستمر تانيا في الكلام) الييناس .. ايها الضوء ، يا من كرهت الاماكن المظلمة ، وسرت اليها دون شبكة انقاذ . لم ارفض دعوتك للمجيء يا من تتوهج حتى في النور .. (يضيع الضوء البنفسجي .على الشاشة صورة لالييناس مسند الى الجدار معصوب العينين ، والدم ينزف من فمه ، وصدره . تبقى الصورة على الشاشة للحظات ، ثم تغيب ويعاد الضوء الخليبي الى الغرفة ، وتانيا مستندة الى الجدار تتخيل .)

ايجريا : (تتاوه) اين هو الان ؟ بماذا يفكر في وحدته ؟ لقد بدات اتخيله انا الاخرى .

تانيا : (بتالم) حقا اين هو الان ؟ (مؤكدة) اينما كان ، فهو لا يفكر الا باكتشاف تلك الجزر السعيده ، والناس الاسعد ، والرقص الذي عشقه من قلب قلبه .

ايجريا : (بعد ان تاثرت بكلمات تانيا) وحبيبي انا ؟ اين هو ؟ لقد اعتقلونا جميعا ،وزعونا في مئات الجزر بسرعة حتى انني كثيرا ما اتصور ان كل شيء تم في حلم . (بغضب) يا لهذا الفوج من الذباب النتن .. (بحزن) ترى في اية جزيرة نائية ، او معتقل يقبع الان خطيبي .

تانيا : (بتعجب) خطيبك ؟ (تربت بلطف على كتف ايجريا) ما كنت اعرف انك مخطوبة ؟

ايجريا : (موسيقى ـ بصوت خافت وحزين) آه ، يا تانيا العزيزه احبه .. احبه انه رجل حقيقي . كثيرا ما اجد بعض صفات الييناس ينطبق عليه ..ظل كل ليلة وانت تتكلمين لنا عن الييناس ..لست ادري لماذا يشبهه .

تانيا : (بفضول) اذن تكلمي . ماذا كنتما تخططان ؟ اين كنتما تذهبان ! تكلمي .. سافو ..نائمة مع صغيرها .. انها حزينة .. تكلمي.

ايجريا : (يضيع الضوء من الغرفة برفق . ظلام . على الشاشة منظر بحر هادىء . تتكلم ايجريا وبالقاء شاعري) بعد هذا الانقلاب الدموي ، كنا ذات مرة في تلك المنطقة من الشاطىء الاملس قرب الاديره، نتأمل نيران الليل والامواج الفضيه . (وقفه) مع انه كان لا يريد مطلقا ان يثير مخاوفي ، وآلامي ، كان يقول ـ ايجريا ، ايجريا. تأملي البحر طويلا ، وحدقي بعيون نسر الى هذا الشاهد الوحيد على الامنا ، وتأملي هذه المنطقة الجميله من يونانتا الجميلة ، لاننا سنغيب . ان الانقلابات حولتنا الى طيور مهاجرة ، لا تعرف على وجه الدقة اين سنبني اعشاشنا المؤقتة . (وقفه) اينما هجرنا مثل الحمام الزاجل نرجع .. اوه ، يا تانيا كان يرعشني بلعنته ...

تانيا : وبعد . تكلمي ..

ايجريا : اوه .. تانيا ، لست ادري هل الظروف ، ام انا مارست على نفسي لعنة النسيان . رغم قصر الفترة احس وكان ذاكرتي غطتها رمال النسيان . المهم ، لا استطيع ان افكر لا بالخطوبة، ولا بالزواج .

تانيا : لماذا ؟.

ايجريا : لن استطيع ان اتزوج في جو عبودي . (يضيع منظر

---

(١) البيكتيون : في الاصل قوم من اشقوزيا ، سموا بهذا الاسم ومعناه المصبوغون لانهم كانوا يصبغون اجسامهم بمختلف الالوان .

(٢) السمندر : حيوان خرافي زحاف كان يشاع انه يعيش في النار.

البحر من على الشاشة ، ويعاد الضوء الخليجي الى الغرفه .. كمن يأمل) ربما سأراه بعد انقشاع هذا الدخان من سماء يونانيا .. ربما ..

تانيا : (بتألم) من يدري كم من السنوات سيظل هذا الدخان معلقا على صدر يونانيا (فجأة يطلق طفل سافو بكاء حادا . تحاول تانيا اسكاته بشتى الطرق)

سافو : (بصوت ذابل) الهي من هذا البكاء المنقطع . لعله يعاني من الم حاد في مكان ما من جسمه . (بغضب) اما كان من الوجدان ان يوفروا لهذا البائس مكانا اشرف من هذه الغرفة ؟ (بألم امومي موجع) انه يذبل مثل الوردة المقطوفة . (يكف الصغير عن البكاء، ويقف بصعوبة على رجليه ، ويسير الى مسافة قصيرة .) تصوري يا تانيا انه لا يملك حتى مكانا ليتمرن على المشي. الا تلاحظين ان ساقه اليمنى تعوج .. بالتأكيد انها اعراض الشلل . (يعود الطفل ويرمي نفسه في حضن امه) تصوري كنت ووالده نفكر ان نعمل المستحيل لهذا الصغير كي يتفتح وينمو خاليا من العقد والامراض . وها هوذا يتفتح على صوت الرصاص ، وهدير مكائن الزوارق ، والجزر البعيدة ، ويملأ صدره الصغير برائحة البول والبراز .. (تبكي) لقد حدوا اسنانهم على الصغار ..

تانيا : آه يا ايجريا .. لست ادري كيف اخفف عنك . هل يجب ان اذكرك بكل الصغار المعذبين في العالم . (ظلام ـ لقطات لاطفال فيتناميين بين مزارع محروقة ، ودبابات . نساء يحاولن الامساك باطفالهن .. تتوقف الحركة على الشاشة . يعود الضوء الى الغرفه)

ايجريا : تكلمي اكثر .. خففي عني .

تانيا : اخجل من لهجة الخطابة .. اسمعي (بمزح طفولي) ان والدتي كلما غمرني حماس مفاجيء كنت اتكلم بلغة خطابية في غرفتي وكأنني فعلا اخاطب جمهورا غفيرا . (تضحك) اتعرفين ماذا كانت والدتي تقول .. (وقفه) آه ، يا لوالدتي الطيبه .. كانت تقول يا شاطرة ان اجمل الخطب وابلغها لم يلق بين الجدران ، فديموستين كان يخطب في المجتمعات الشعبية ، وشيشرون كان يتكلم في السوق . (تطلق ضحكة حلوة) ربما بعد ان انهي رقصاتي فوق مسارح العالم يتسنى لي أن اخطب ..

سافو : (بعد ان تتأكد من ان الصغير نام) يا لفرح قلبك ، وعزيمتك يا تانيا ..

تانيا : (بأعتزاز فيه شيء من المزح) انني ابنة ماركوس ، واخي هو الينابيع . لقد تعلمنا المشاغل المباركة التي تسمو فوق كل العواطف الناقلة . (مؤكدة) لكنني مع ذلك كانثى املك عواطف حقيقية ربما بقوة مئة امرأة .

سافو : (تضحك لاول مرة) كثيرا ما اقول لنفسي منذ ان انفلقنا هنا ، ترى ما الذي كان سيحدث لي لو لم تكوني معنا .

تانيا : (بضحك جميل) اولا شكرا لانك ضحكت ، ثانيا اينها الحبيبة سافو كانت الضرورة تعلمك اشياء اخرى . ربما كنت تتعلمين تاليف ترانيم جميلة لصغيرك .

ايجريا : (تحاول هي الاخرى ان تخفف من حزن سافو) وسمين ديوانك بعنوان ـ ترانيم امرأة حجزت في جزيرة هاليكارناسوس لان زوجها مطلوب من الحكومة . السعر خمس دراخمات . (يطلقن ضحك عالية ، ثم فجأة ينتبهن بأن الصغير نائم .)

تانيا : (بهمس ، لكن بجديه) هيا يا عزيزتي سافو .. ثمة بؤس صغير واخر كبير . لا اظن ان زوجك من الجبن بحيث يسلم نفسه لتتبادلا غرف السجن . هل ثمة معنى في ان يخرجي انت ويدخل هو اوه ، طبعا لا .. (بلهجة مشجعة) اعلمي ان كتائبهم المسلحة تلمع منذرة برعود لا ترحم . (وقفه) انتظري ، اذا قيض لنا ان نترك جزيرة هاليكارناسوس سنسمع اوتار الف قيثارة تعزف لتمجد كل شيء ، وسينتهي ذاك الغناء الذي يريد ان يحل بهم .

ايجريا : (بحماس) يه ، يه ، هاها . ان الذي يسمعك وانت ترددين هذه الكلمات وكأنك شربت من ينبوع كستاليا (١) .. يا لقلبك البعيد عن الحزن ، والعذاب .

تانيا : الا يحق لنا ان نأمل ، ونحلم وان كان داخلنا اسبه شيء بمرآة مكسورة . (صمت طويل . نسمع زخات من الاطلاقات . ظلام على الشاشة تظهر لوحة غويا . ويسمع صوت هيباس وكأنه يأتي من مكبر للصوت ومن بعيد ـ غويا ... غو ... يا ... يغيب لوحه غويا من على الشاشه ، ويظهر بعد لحظات نيودراكس فوق الشاشة وثمة مراهقات ، ونساء مسنات يتزاحمن للحصول على توقيعه ، بينما يردد هو :

نيودراكس فوق الشاشة : ان ضمير الشعب الفرنسي فكر بي كفنان مصاب بالسل والجذام ، لكنه اهمل السل في سجون الجزر .. اكرر ، ان اولئك الناشئين في ارض حضارتكم القديمة يطوفون مثل مراكب تمزقت اشرعتها ، وتحطمت سواريها ، ولا يحتاجون لكي يغرقوا سوى اداتهم .. ان اليونان لم سقط ، وحتى اذا سقطت لكي تنظهر. يغيب نيودراكس من على الشاشة . يبقى المسرح مظلما . نسمع زخات جديدة من الاطلاقات . تظهر لوحة غويا على الشاشة ، ويسمع هذا المقطع من نشيد الكورس ـ لتشعروا ابدا بضربة الموت يا من تحترقون للحرية والمساواة والعدل .... يعود الضوء الى الغرفه)

تانيا : (بخوف وتعجب) ترى من كان ؟ من كانت ؟

ايجريا : (بصوت راعش) من يدري ..

سافو : ربما كانت الرصاصات من بنادق كتائب زوجي .

تانيا : لكننا في جزيرة ، وهو في الجبال .

سافو : ربما انهم مثل الهواء في كل مكان .

ايجريا : كان خطيبي يقول ستجبرنا الضرورة ان نكون في كل مكان.

تانيا : (نحاول ان تغير الموضوع) تكلمي عن خطيبك .. لنتكلم عن ذكرياتنا .. تكلمي يا ايجريا ..

ايجريا : (بالغاء شاعري) الهي هؤلاء هرموا قلوبنا وهي فتية . صحيح ان كل شيء يشيخ لكن برفق .. نحن لم نفض بعد بسوق الحاضر ، ولم نقطف البعض مثل ازهار الياسمين . افي هذا العمر نعاني البلاء ، وسموم الفراق . (ظلام . منظر البحر السابق فوق الشاشه . يأتي صوت ايجريا من مكبر للصوت ـ موسيقى خفيفه) يا تلك الليله التي كانت كل الليالي .. جرينا طويلا على الشاطيء ، وتأملنا زرقة السماء الداكنة،سقطنا وتلوينا فوق الرمل.كنا نلفح داخلنا بمئات الذكريات .. الهي ، كان الوقت صيفا وكنا من فرط الاحساس بالفراق نبحث عن مأوى مثل البحر.. وظللنا نبحث، ونبحث كان كل شيء ملتهبا حولنا . النار والدم في السلطة الحاكمة ، وكلاب الحراسه في الشوارع ، والسواحل .. يا لليلتنا الاخيرة على الشاطيء كان الخوف يطاردني من الداخل ، وكنت احس ضربات سوطه ، وكان هو يؤكد لي بثقته الابدية ـ ايجريا اينها العزيزة ليس ثمة شيء وراء القبر . (بصوت راعش) كنا اشبه شيء بملاحين ينظران الى سفينتهما الغارقه ، ويتناهبان لفلة مصيرهما . (وقفه) وكان هو مثل صقر مطعون يتهيج احيانا ، ويشدني اليه بقوة . (يسمع صوت سافو)

سافو : كأنك يا ايجريا تتكلمين عن حياتي مع زوجي قبل ان يجيء صغيري الى الدنيا .

ايجريا : (سنستمر بنفس الالغاء) ربما نام الحجر ، اما نحن فلا . (تبكي بصوت متشنج . يغيب منظر البحر من على الشاشة ، ويعود

---

(١) كستاليا : هو ينبوع في جبل البرناس ، مقدس . وكانت مياهه عذبة باردة ، لها القدرة على الهام من يشربون منها بنار الشعر.

الضوء الى الغرفة . تانيا تحاول اسكات ايجريا)

تانيا : اسكتي .. ان الذي سمعته منك لن يكون ابدا مشروعك الاخير .. هيا صفقي لي لارقص لكنّ مقطعا من زوربا .. صفقـي .. (تسمع موسيقى زوربا ، ويتقلص الضوء الحليبي بحيث يسلط فقط على جسد تانيا وهي تؤدي الرقصه . يستمر الضوء بالتقلص حتى يغمر المسرح ظلام .. على الشاشة يظهر ثيودراكس منفعـلا ، ويتكلم بعصبية)

ثيودراكس فوق الشاشة : ان شعبيمن اجل اعطاء وجه اكثر شرفا لحضارته يعمل المستحيل مع اولئك العقداء العاجزين في هذه المعركة الوحشية . ظلام فوق الشاشة .. موسيقى من آله كمان . وقع ارجل حافيه .. اصوات . هدير مكائن الزوارق البخاريه) .

صوت ١ : الى جزيرة اخرى ؟

صوت ٢ : والله انها لفرصة رائعة لنشاهد جزرنا السعيدة .

صوت ٣ : من جزيرة ليروس ، الى جورجيوس ، ثم هاليكارناسوس

صوت ٤ : يا لنشاط السياحه ..

صوت ٥ : اين ؟ الى الجزر البعيده .. رائع ..

(يدور هذا الحوار في الظلام .. بعد لحظات يسود صمت طويل. يعود الضوء الى الغرفة الاولى . نجد صورة محفورة لغيفاره في المكان الذي كان يعمل فيه هيباس . هرموديوس يذرع الغرفة) .

هرموديوس : ترى لم لم يشملنـا التنقل الى جزيرة اخرى ؟

هيباس : ربما في المرة المقبلة .. لم اعد اتحمل هذه الغرفة .. ان ذكريات اليناس ، وهيبارخوس تتفرع في رأسي .

(يفتح الباب ، ويدخل هيبارخوس ، ويسير بخطوات ميتة ويقف رغم عجزه وسط الغرفه . يغلق الباب ، ويسمع وقع احذية ثقيلة .)

هيباس ، وهرموديوس (معا) محال !! هيبارخوس !؟ (يحـاول هيبارخوس ان يتماسك ويعطي وجهه المليء بالكدمات للجمهور . تستمر آلة الكمان في العزف) .

هيباس : (يتوقف عندما يلاحظ ان هيبارخوس يرفض ان يقترب منه احد) يا لوجهه المشوه ؟ اين اليناس ؟

هرموديوس : (غير مصدق نفسه) حقا اين اليناس ؟

هيبارخوس : لقد كانت حياته حربا ابدية مع الاعداء . انه لم يعد في حاجة حتى الى غصني نراز يبيلوس .

هيباس ، وهرموديوس : (معا بصوت مخنوق) قتلوه !!؟

هيباس : (بصوت راعش) بل قتلهم هو الف مرة قبل ان يقتلوه. (وقفه) خافوا من عينيه الميدوز يتين (١) . فيها رأوا عبوديتهـم ، والهاوية التي سيقعون فيها .

هيباس : وانت ؟

هيبارخوس : ابتسموا لي بتوجع ، وقالو ان عمري لا يساعد ، وعليّ ان اعيش في الجزر .. اما مع اليناس ، الهـي ، مثلـوا فـي البداية عملية اعدام وهمية لاجباره على الخضوع .

هرموديوس : (بلطف) انك مرهق .. اجلس .

هيبارخوس : (يحاول ان يتماسك ، اتركني . (يعود الظلام الى الغرفة . تظهر صوره اليناس على الشاشة مقتولا ، ويلقي هيبارخوس هذا الحوار بصوت راعش) . ان ابن ذاك الماركوس الخالد اهانهم .

آه ، يا اليناس كم تحملت مضيرك ببسالة .. أن طبع الخب الاصيـل لاي شيء في الحياة هو اما ان ينمو بعنف او يموت (وقفه) اهانهم كما لم تهن حتى الكلاب المجربة . (بصوت حزين) عندما اوقفوه امـام الجدار وامروه بالكلام .. (وقفه . بصوت راعش) الف سلام الى تلك الروح العظيمة . رفض ، وفجاة ملات الغرفة عشرات الاطلاقات . لكنني لم ار نوافير الدم في صدره ، او في بطنه . (وقفة) ارسل اليّ نظرة طويلة .. قال له العسكري انه سيطلق عليه نارا حقيقية في المـرة المقبلة . لقد جربوا معي اللعبة نفسها يوم كنت شابا في احـد المعتقلات .. ظل اليناس صامتا . عيناه كانتا تبرقان مثل عيون غجر اسبانيا .. صدقوني ثمة نفوس بركانيه تعجز الدنيا عن لجمها . كنت استيقظ في عينيه . صدقوني كان يريد ان يرفص ولو قليلا . (بصوت راعش) اما في المرة الثانية ، فقد انفجرت نوافير الدم . (يقترب من مقدمة المسرح ، ويعاد الضوء برفق الى الغرفة بينما تضيع صورة اليناس من على الشاشة) . حتى عندما مات كان في وجهه ذاك السحر الشبيه بسحـر الفجـر ..

هيباس (بصوت مخنوق) الف وداع يا اليناس ، وليسترح راسك على صدر كل شريف .

هرموديوس : (بغضب) صفقوا نخب موته الشريف (يصفـق الجمهور في الصاله بقوة)

صوت ١ من الصاله : صفقوا مرة اخرى نخب موته الشريف

صوت ٢ من الصالة : كان اندريه مالرو على صواب عنـدما قـال ان الاجساد المجيدة ليست الاجساد التي ترقد في القبور .

صوت ٣ ـ من الصالة : نحن لا نشفق على اليناس بل على انفسنا

صوت ٤ من الصالة : لنطالب ببناء يانتيون جديد لامثال اليناس. (يصفق الجمهور مرة اخرى وبحرة اكبر . تغلق الستاره ، وتضـاء الفاعة . يدخل عسكري يحمل هراوة بيده .

العسكري : الهدوء رجاء .. الهدوء .

صوت ٥ من الصالة : (يبكي) اين اليناس ايها العسكـري . (يخيم صمت للحظات ويسمع صوت هيبارخوس)

هيبارخوس : وداعا ايها الجمهور الكريم .. الى بيونكـم .. لا تنسوا الموتى .

ستـار

كركوك ـ العراق — جليل القيسي

---

(١) ميدوزا : جنية يونانية كانت لعينيها قدرة علـى تحجير من ينظـر اليهـا .

مكتبة النهضة ـ بغداد

اطلب منهـا

جميع منشورات

دار الآداب

وسائر المنشورات العربية